أثر اللغة العربية
في الحفاظ على العلوم الشرعية
والهوية الوطنية

إعداد الدكتورة

زيزي مصطفى أحمد مصطفى

مدرس بقسم الفقه العام في كلية البنات الأزهرية

العاشر من رمضان، جامعة الأزهر

أثر اللغة العربية في الحفاظ على العلوم الشرعية والهوية الوطنية

زيزي مصطفى أحمد مصطفى

قسم الفقه العام، كلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: zeze185152@gmail.com

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على أهمية اللغة العربية في الحفاظ على العلوم الشرعية والهوية الوطنية، حيث يختلف ارتباط المسلم باللغة العربية عن ارتباط أي إنسان بأية لغة أخرى؛ فالإنسان الذي يرتبط بلغة وطنه ويعتز بها، قد يتخلى عنها اختيارًا أو اضطرارًا، إذا طاب له المقام في منطقة أخرى، لها لغة مغايرة، وصاحب أي عقيدة أخرى قد يستطيع أن يقرأ كتابه، ويمارس شعائره من غير حاجة إلى التمسك بلغة كتابه المقدس. أما المسلم فإنه لا يستطيع أن يقرأ كتابه بغير اللغة التي نزل بها، ولا يستطيع أن يؤدي شعائره بغير هذه اللغة.

كما أن المعرفة باللغة العربية تساعد على معرفة التراث الإسلامي والعربي، ومن ضمنها الكتب والمخطوطات العربية، والحضارة الإسلامية الكبيرة، التي أنارت للعالم، ونشرت العلم والمعرفة.

كما تشكل اللغة العربية إحدى مقومات الهوية لدى الإنسان العربي، وتطبع شخ صيته بطابع مستمد من طبيعتها، وطريقتها في التعبير، التي تنعكس بدورها في طريقته في التفكير.

فاللغة العربية هي الترسانة الفكرية والثقافية التي تبنى الأمة وتحمي كيانها، وتحافظ على شخصيتها، وهي الدعامة الرئيسة لبناء الأمة وقيامها.

الكلمات المفتاحية: أثر، اللغة العربية، الحفاظ، العلوم الشرعية، الهوية الوطنية.

The Impact of the Arabic Language on Preserving Legal Sciences and National Identity

By: Zeze Mustafa Ahmed Mustafa،
Al-Azhar University، Faculty of Girls in the 10th of Ramadan City، General Jurisprudence Department.
Email: zeze185152@gmail.com

Abstract:

This research aims to shed light on the importance of the Arabic language in preserving legal sciences and national identity، as the Muslim's association with the Arabic language differs from the association of any human being with any other language. A person who is attached to the language of his homeland and cherishes it may abandon it willingly or by necessity، if he finds it easy to live in another region that has a different language، and the owner of any other belief may be able to read his book and practice his rituals without the need to adhere to the language of his holy book. As for the Muslim، he cannot read his book in a language other than the language in which it was revealed، and he cannot perform his rituals in a language other than this.

In addition، the knowledge of the Arabic language helps to know the Islamic and Arab heritage، including Arabic books and manuscripts، and the great Islamic civilization، which enlightened the world and spread science and knowledge.

The Arabic language is also one of the elements of the identity of the Arab person، and imprints his personality with a character derived from its nature and its way of expression، which in turn is reflected in its way of thinking.

In fact، the Arabic language is the intellectual and cultural arsenal that builds the nation، protects its entity، and preserves its personality، and it is the main pillar for building the nation and its resurrection.

Keywords: Impact، Arabic Language، Preservation، Legal Sciences، National Identity.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

لا بدّ للإنسان الواعي أن يحيا من أجل الهدف الذي خلق من أجله، وهو عبادة الله تعالى وإعمار الأرض، وهو ما يقتضي انتماء حقيقيًا للدين والوطن.

وجميعنا يُدرِك أهمِّية اللُّغة بارتباطها الوثيق بتُراث الأُمّة، فهي تجسيد لهوَيّة الأُمّة الروحية والتاريخية، بوصفها الحافظ لتُراثها الفكري والحضاري. فغالبا ما تقترن اللُّغة باسم الأُمّة وهويتها الوطنية، فتصبح أساسًا مميزًا عن بقية الأُمم في حالة التعرف عليها وعلى الأفراد المنتمين لها[١].

فاللُّغة هي الدعامة الرئيسة لكل حضارة، وما من حضارة اندثرت أو ضاعت في متاهات الزمن إلا وكان للغة الدور الأكبر في ذلك، من حيث إنها عنصر فاعل في تفوق حضارة ما على حضارةٍ أخرى.

لقد أكدت الوثيقة الصادرة عن منظمة اليونسكو عام ٢٠٠٣ م أن اللُّغة ليست أداة للاتصال واكتساب المعرفة فحسب، بل هي أيضًا مظهر أساس للذاتية الثقافيّة، ووسيلة لتعزيزها، سواء بالنسبة للفرد أو للجماعة، كما دعت المنظمة أيضًا إلى ضرورة العناية باللُّغة الأم أو اللُّغة القومية، وأهمِّية استخدامها في النشاط الثقافيّ والتعليمي [٢].

ولقد كان للغة الْعَرَبية باعتبارها لغة فكر وثقافة الدور الأكبر في حفظ الدين الإسلامي وفهمه

---

(١)- اللغة العربية وعلاقتها بالهوية: كرمة الشريف، بحث منشور في مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم – الجزائر، العدد ٦، سنة٢٠٠٦، ص ٣٦ .

(٢)- دور اللغة العربية في حماية التراث الثقافي وتعزيز الهوية الحضارية في عصر العولمة: د/ ياسر هاشم عماد، بحث منشور في مجلة العلامة، مخبر اللسانيات النصية، جامعة قاصدي مرباح – الجزائر، مجلد ٤، عدد ٩، سنة٢٠١٩، ص ١٣٢،١٣٣ .

وتعاليمه؛ لأن الدين الإسلامي مرتكز على القرآن والسنة، وقد جاء بلغة العرب، والرسول عربي، ولفظ القرآن عربي، فيصعُب فهمُ الدين وتعاليمه بدون اللغة العربية، ومعرفة فنونها المختلفة، فلها دور بارز في حفظ الدين وتعاليمه، خاصة في الدول غير الناطقة باللغة العربية. وتزداد أهميةُ تعلمِ اللغة العربية حين بَعُد الناس عن الملكةِ والسليقة اللغوية السليمة؛ مما سبَّبَ ضعف الملكات في إدراكِ معاني الآيات الكريمات؛ مما جعل من الأداةِ اللغوية خيرَ معينٍ على فهم معاني القرآن الكريم والسنة المطهرة.

فاللغة العربية هي جوهر عروبتنا، ورمز وجودنا القومي، ومكون أساسي لتُراثنا الإسلامي؛ وإن ما تتعرض له هذه اللُّغة من مخاطر لإضعافها واستلابها، يتوجب على كل عربي أن يعملوا على تعزيز مكانة هذه اللُّغة في النفوس، وتقوية إيمان الناس بأصالتها، وأن يكونوا قدوة لهم في ممارسة هذه اللُّغة قولاً وفعلاً، بوصفها جوهر الشخصية الْعَرَبية، والمقوم الأساسي من مقومات الأُمّة الْعَرَبية وتراثها الإسلامي.

ومن أجل النهوض بواقع اللُّغة الْعَرَبية، وتعزيز دورها في حِماية العلوم الشرعية والهوية الوطنية، عزمت على الكتابة في هذا الموضوع لأهميته – بعد التوكل على الله– .

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة تشتمل على أهمية الموضوع، وخطة البحث.

المبحث الأول: أثر اللغة العربية في حفظ وفهم العلوم الشرعية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: العلاقة بين اللغة العربية والعقيدة الإسلامية

المطلب الثاني: أثر اللغة العربية في فهم معاني القرآن الكريم والسنة المطهرة

المطلب الثالث: أهمية اللغة العربية للفقيه

المطلب الرابع: حكم تعلم اللغة العربية للمسلم

المبحث الثاني: أثر اللغة في الحفاظ على الهوية الوطنية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الهوية الوطنية

المطلب الثاني: العلاقة بين اللغة العربية والهوية الوطنية

المطلب الثالث: التأصيل الشرعي للانتماء إلى الوطن

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث.

المبحث الأول

أثر اللغة العربية في حفظ وفهم العلوم الشرعية

مما لا شك فيه أن العلوم الشرعية المختلفة، قد دوِّنت باللغة العربية، والمعرفة باللغة العربية تساعد على معرفة التراث الإسلامي والعربي، ومن ضمنها الكتب والمخطوطات العربية، والحضارة الإسلامية الكبيرة، التي أنارت للعالم، ونشرت العلم والمعرفة.

قبل الحديث عن أثر اللغة العربية أبين معنى اللغة:

اللغة: أخذت من الفعل«لغا أي تكلم ومضارعه يلغو » وهي على وزن فعلة، فأصل لغة لغوة فحذفت واوها وجمعت على لغات وُلغون، واللغو هو النطق، يقال: هذه لغتهم التي يلغون بها أي ينطقون بها، وثمة من يرى أن لفظ « لغة قد يكون مأخوذا من « لوغوس »اليونانية ومعناها «كلمة » [(١)]

وجاء في لسان العرب أن اللغة: «هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » [(٢)].

المطلب الأول: العلاقة بين اللغة العربية والعقيدة الإسلامية.

العلم الصحيح هو مقيم الدين، مقيم العبادة، ودليله أنَّ نبي الله – ﷺ – بقي عشر سنين بمكة لا يدعو إلا إلى علم العقيدةِ، الذي هو أساسُ كل علم وأصل العلوم، وبقيةُ العلومِ تتفرَّعُ عنه، فعلمُ العقيدة والشريعة هو أهمُّ ما يجب على المسلم أن يتعلَّمه.

واللغة العربية جزءً من ديننا، بل لا يمكنُ أن يقومَ الإسلام إلا بها، ولا يصح أن يقرأ المسلم القرآنَ إلا بالعربية، وقراءة القرآن ركنٌ من أركانِ الصلاة، التي هي ركن من أركانِ الإسلام.

---

(١)- اللغة والهوية: د/ محمود أحمد السيد، بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية- دمشق، مجلد ٨٥، سنة٢٠٠٨، ج٣، ص٦٣٩ .

(٢)- لسان العرب: لابن منظور، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤١٤ هـ، ج١٥/ ٢٥١.

قال شيخُ الإسلام ابن تيمية: "إنَّ الله لما أنزل كتابَه باللسان العربي، وجعل رسولَه مبلغًا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السَّابقين إلى هذا الدين متكلِّمين به، ولم يكن سبيل إلى ضبط الدِّينِ ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، صارت معرفته من الدِّين، وأقرب إلى إقامةِ شعائر الدين..." (١).

وفي الكلامِ السَّابقِ لشيخ الإسلام ما يدلُّ على أنَّ بين اللغة العربية والعقيدة الإسلامية ارتباطًا وثيقًا، لا يماثله رباطٌ آخر في أي من المجتمعاتِ القديمة والمعاصرة؛ لأنَّ اللغة العربية هي لغةُ الإسلام، ولغة كتابه العزيز، ولغة رسوله محمد -ﷺ- ولذا فإن الاهتمامَ والعناية بها إنما هو استكمال لمقوم من مقومات العقيدة الإسلامية، التي نجتمعُ جميعًا على إعزازِها، والدعوة إليها.

وانطلاقًا من هذا المفهوم، فإنَّ تعلم اللغة العربية والاهتمام بها ليس مهنة تعليمية، أو قضية تعليمية فحسب؛ وإنما هو قضية عقدية، ورسالة سامية نعتز بها.

(١)- اقتضاء الصراط المستقيم: لابن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب- بيروت، الطبعة السابعة: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.

المطلب الثاني: أثر اللغة العربية في فهم معاني القرآن الكريم والسنة المطهرة.

اللغة العربية تُعد مفتاح الأصلين العظيمين؛ الكتاب والسنة، فهي الوسيلةُ إلى الوصولِ إلى أسرارهما، وفهم دقائقهما، وارتباط اللغة العربية بهذا الكتابِ المُنَزَّل المحفوظ جعلها محفوظةً ما دام محفوظًا، فارتباطُ اللغةِ العربية بالقرآن الكريم كان سببًا في بقائها وانتشارها، حتى قيل: لولا القرآن ما كانت عربية؛ ولهذا السبب عني الصحابة بعلومِ اللغة العربية، وحثُّوا على تعلمِها، وإليك بعض أقوالِهم التي تدلُّ على أهميةِ العربية:

١- يقول عمرُ بن الخطاب -رضي الله عنه-: "تعلموَا العربيةَ فإنها مِنَ دينِكُمْ، وتعلموَا الفرائضَ فإنَها مِنْ دِينِكُمْ"(١).

٢- وكتب كَتَبَ عمر إلى أبي موسى -رضي الله عنه-: أما بعد: فتفقهوَا في السُنةَ، وتفقهوَا في العربيةِ، وأعربوا القرآنِ، فإنَهُ عربيُ"(٢)

وفي توجيهِ عمر هذا أمران:

الأول: الدعوةُ إلى فقهِ العربية.

الثاني: الدعوةُ إلى فقهِ السنة.

وبيَّن شيخُ الإسلام سببَ قول عمر: "تفقهوا في السنةِ، وتفقهوا في العربية"؛ حيث قال: "لأنَّ الدِّينَ فيه فقهُ أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريقُ إلى فقه الأقوال، وفقه السنة هو الطريقُ إلى فقه الأعمال"(٣).

---

(١)- مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب: مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي، تحقيق: الدكتور/ نجم عبد الرحمن خلف، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، ص٦٣.

(٢)- المصدر السابق: ص٦٢.

(٣)- اقتضاء الصراط المستقيم: لابن تيمية، ج١/ ٥٢٨.

وذكر الإمام السيوطي في «الإتقان» أن معرفة علم اللغة العربية أمر ضروري للمفسر [١].

وقال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة -رحمه الله-: "لا بُدَّ في تفسيرِ القرآن والحديث من أن يُعرَف ما يدلُّ على مرادِ الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يُفهَم كلامُه؟ فمعرفةُ العربيةِ التي خُوطبنا بها ممَّا يُعين على أن نفقه مرادَ اللهِ ورسولِه بكلامِه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظِ على المعاني؛ فإنَّ عامَّة ضلالِ أهل البدع كان بهذا السبب، فإنَّهم صاروا يحملون كلامَ اللهِ ورسولِه على ما يَدَّعون أنَّه دالٌّ عليه، ولا يكون الأمر كذلك"[٢]

قال ابنُ الصلاح: "وحق على طالبِ الحديث أن يتعلَّمَ من النَّحوِ واللغة ما يتخلَّصُ به من شين اللحن والتحريف ومعرتهما"[٣]

ومن أمثلة التفاسير الخاطئة المبنية على الجهل بالعربية: قول من زَعَم أنه يجوزُ للرجلِ نكاح تسع حرائر، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[٤] ، فالمجموع تسع نسوة؛ قال الشاطبي: "ولم يشعر بمعنى فُعال ومفعل، وأنَّ معنى الآية: فانكحوا إن شئتم اثنتين اثنتين، أو ثلاثًا ثلاثًا، أو أربعًا أربعًا على التفصيل لا على ما قالوا".

ومن ذلك قول من قال: إنَّ المحرَّمَ من الخنزير إنما هو اللَّحم، وأمَّا الشَّحمُ فحلال؛ لأنَّ

---

(١)- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، تاريخ الطبعة: ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م، ج٢/ ٥.

(٢)- الإيمان: لابن تيمية، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة الخامسة: ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م، ص٩٧.

(٣)- مقدمة ابن الصلاح: تقي الدين بن الصلاح، المحقق: نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر- سوريا، سنة النشر: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، ص٢١٧ .

(٤)- سورة النساء: من الآية ٣.

القرآن إنما حرَّمَ اللحم دون الشحم، ولو عرف أنَّ اللحم يُطلقُ على الشحمِ، بخلاف الشحم فلا يطلقُ على اللحمِ، لَمَا قال ما قال [١].

ومن ذلك قول من قال في حديث: النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ» [٢]؛ بأنَّ فيه مذهب الدهرية، وهذا جهل، فإنَّ المعنى: لا تسبوا الدَّهرَ إذا أصابتكم مصائب، ولا تنسبوها إليه، فإنَّ الله هو الذي أصابكم، فإنكم إذا سببتم الدهرَ، وقع السبُّ على الفاعل لا على الدهر.

قال الشاطبي -رحمه الله- بعد أن ذكرَ الأمثلة السابقة: "فقد ظهر بهذه الأمثلةِ كيف يقعُ الخطأ في العربيةِ في كلام الله - سبحانه - وسنة نبيه -ﷺ- وأنَّ ذلك يؤدِّي إلى تحريفِ الكلم عن مواضعِه، والصحابة -رضي الله عنهم- برآءٌ من ذلك؛ لأنهم عربٌ لم يحتاجوا في فهمِ كلامِ الله - تعالى - إلى أدواتٍ ولا تعلم، ثم من جاء بعدهم ممن هو ليس بعربي اللسان تكلَّفَ ذلك حتى علمه" [٣].

وقال الإمام الشَّافعي -رحمه الله-: فمن جهل هذا من لسان العرب - وبلسانها نزل الكتاب، وجاءت السنة - فتكلَّفَ القول في علمِها، تكلف ما يجهل بعضه، ومن تكلف ما جهل وما لم تثبتْ معرفتُه، كانت موافقته للصواب - إن وافقه - غيرَ محمودة، والله أعلم، وكان بخطئه غيرَ

(١)- الاعتصام: للشاطبي، تحقيق: هشام بن إسماعيل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ج٣/ ٢٦٢.

(٢)- صحيح البخاري: كتاب الأدب- باب لا تسبوا الدهر، ج٨/ ٤١، حديث رقم٦٤٨٢، صحيح مسلم: كتاب الألفاظ من الأدب- باب النهي عن سب الدهر، ج٤/ ١٧٦٣، حديث رقم٢٢٤٦.

(٣)- الاعتصام: ج٣/ ٢٦٤.

معذورٍ؛ إذ نطق فيما لا يحيطُ علمه بالفرقِ بين الخطأ والصواب فيها" [١].

وأبان عن هذه الأهميةِ أهلُ اللغة أنفسهم؛ يقول الزمخشري: "وذلك أنهم لا يجدون علمًا من العلومِ الإسلامية فقهها وكلامها، وعلمي تفسيرها وأخبارها، إلا وافتقاره إلى العربية بيِّن لا يُدفع، ومكشوفٌ لا يتقنَّع، ويَرَوْن الكلامَ في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنيًّا على علمِ الإعراب"[٢].

وما ذكره الزمخشري صحيحٌ؛ وذلك لتوقُّفِ معرفة دلالات الأدلة اللفظية من الكتابِ والسنة، وأقوالِ أهلِ العقد والحل من الأمة على معرفة موضوعاتها لغة من جهة: الحقيقة والمجاز، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والحذف والإضمار، والمنطوق والمفهوم، والاقتضاء والإشارة، والتنبيه والإيماء، وغير ذلك مما لا يعرفُ في غيرِ علم العربية [٣].

وقال الإمام مالك -رحمه الله-: "لا أُوتَى برجلٍ غير عالم بلغةِ العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً" [٤]؛ ولهذا أيضًا نجد التفاسيرَ مشحونةً بالرِّواياتِ عن سيبويه والأخفش والكسائي والفراء وغيرهم، فالاستظهارُ لبعضِ معاني القرآن الكريم وأسرارِه نابعٌ من الاستعانةِ بأقاويلهم، والتشبث بأهدابِ فسْرهم وتأويلهم [٥].

---

(١)- الرسالة: للشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة الأولى: ١٣٥٨ هـ/ ١٩٤٠م، ص٥٠.

(٢)- المفصل في صنعة الإعراب: للزمخشري، تحقيق: د. علي بو ملحم، الناشر: مكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٣م، ص١٨

(٣)- الإحكام في أصول الأحكام: للآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان، بدون طبعة، ج١/ ٨.

(٤)- الإتقان في علو م القرآن: ج٤/ ٢٠٩.

(٥)- المفصل في صنعة الإعراب: ص ١٨.

المطلب الثالث: أهمية اللغة العربية للفقيه.

لو نظرنا إلى الفقيه لوجدناه لا يقل عنهما في احتياجه إلى الفقه في العربية ليكون فقيهاً في الأحكام الشرعية، ومن الأمثلة على ذلك ما يروى من الطرائف التي تحدث في مجلس الخليفة هارون الرشيد بين جليسيه العالمين الجليلين أبي يوسف الفقيه، صاحب أبي حنيفة، والكسائي النحوي القارئ، دخل أبو يوسف الفقيه على الرشيد وعنده الكسائي يحدثه، فقال: يا أمير المؤمنين، قد سعد بك هذا الكوفي وشغلك. فقال الرشيد: النحو يستفرغني، أستدل به على القرآن والشعر. فقال الكسائي: إن رأى أمير المؤمنين أن يأمره بجوابي في مسالةٍ من الفقه. فضحك الرشيد فقال: أبلغت إلى هذا يا كسائي، يا أبا يوسف أجبه. فقال: ما تقول في رجل قال لامرأته: أنت طالقٌ إن دخلت الدار؟ فقال: فقال أبو يوسف: إن دخلت فقد طلقت. فقال الكسائي: خطأ، إذا فتحت أن فقد وجب الأمر، وإذا كسرت فإنه لم يقع بعد.

فنظر أبو يوسف بعد ذلك في النحو [١].

ويقول الشافعي: "لا أُسأل عن مسألةٍ من مسائل الفقه، إلا أجبت عنها من قواعدِ النحو" [٢].

وهذا يدلُّ على تمكنِه -رحمه الله- في العربية، وقال أيضًا: "ما أردت بها - يعني: العربية - إلا الاستعانةَ على الفقه"[٣]

(١)- مجالس العلماء: للزجاجي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، دار الرفاعي بالرياض، الطبعة الثانية: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ص١٩٦.

(٢)- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لابن العماد العَكري الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ج٢/ ٤٠٧.

(٣)- سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة: ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ج١٠/ ٧٥.

وقال محمد بن الحسن: "خلَّف أبي ثلاثين ألف درهم، فأنفقتُ نصفَها على النحوِ بالري، وأنفقتُ الباقي على الفقه"، وقال عنه الشَّافعي: "لو أشاء أن أقول: تنزل القرآن بلغةِ محمد بن الحسن لقلتُ لفصاحتِه، وقد حملت عنه وقر بختي" (١)

وقد جَعَل علماءُ أصولِ الفقه من شروط المجتهد أن يكون عالمًا بأسرارِ العربية، وبخاصة علم النحو؛ لأنَّ الشريعةَ عربية ولا سبيل إلى فهمِها إلا بفهمِ كلام العرب، وما لا يتمُّ الواجبُ إلا به فهو واجب، كما ذكر ذلك صاحبُ "المحصولِ في أصول الفقه" حيث يقول: "مسألة في شرائط المجتهد: أعلم أن شرط الاجتهاد أن يكون المكلف بحيث يمكنه الاستدلال بالدلائل الشرعية على الأحكام، وهذه المكنة مشروطة بأمور: أحدها: أن يكون عارفًا بمقتضى اللفظ ومعناه؛ لأنه لو لم يكن كذلك لم يفهم منه شيئًا؛ ولما كان اللفظ قد يفيد معناه لغة وعرفًا وشرعًا وجب أن يعرف اللغة والألفاظ العرفية والشرعية" (٢).

وقد شرطه الجماهيرُ من الأصوليين؛ كالشافعي والغزالي والجويني والآمدي والقرافي والشاطبي والشوكاني وغيرهم.

قال الشاطبي -رحمه الله-: "وعلى النَّاظرِ في الشريعةِ والمتكلم فيها أصولاً وفروعًا أمران؛ أحدهما: ألا يتكلَّمَ في شيء من ذلك حتى يكون عربيًّا أو كالعربي؛ في كونِه عارفًا باللِّسان العربي، بالغًا فيه مبلغ العرب (٣).

---

(١)- العبر في خبر من غبر: شمس الدين الذهبي، المحقق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، بدون طبعة، ج١/ ٢٣٤.

(٢)- المحصول: فخر الدين الرازي، تحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ج٦/ ٢١.

(٣)- الاعتصام: ج٣/ ٢٥٧.

و يفهم من كلامِ الصَّحابةِ والسلف وأقوال اللغويين؛ أنه ليس المقصود من تعلم اللغة العربية الاقتصار فقط على القواعدِ الأساسية التي تتوقَّفُ وظيفتها على معرفةِ ضوابط الصحة والخطأ في كلام العرب؛ وإنما المقصودُ من تعلمِ اللغة العربية لدارس الكتاب والسنة والمتأمل فيهما هو فهم أسرارها، والبحث عن كلِّ ما يفيدُ في استنطاق النَّصِّ، ومعرفة ما يؤديه التركيبُ القرآني على وجه الخصوص؛ باعتباره أعلى ما في العربيةِ من بيان، وقد نبَّه على هذه الخاصيةِ الزَّجاجيُّ في كتابه "الإيضاح في علل النحو"؛ حيث يقول: "فإن قِيل: فما الفائدةُ في تعلم النحو؟ فالجوابُ في ذلك أن يُقال: الفائدة فيه للوصولِ إلى التكلم بكلامِ العرب على الحقيقة صوابًا غير مبدل ولا مغير، وتقويم كتاب الله -ﷻ- الذي هو أصل الدِّينِ والدنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار النبي -ﷺ- وإقامة معانيها على الحقيقة؛ لأنَّه لا تفهم معانيها على صحةٍ إلا بتوفيتِها حقوقها من الإعراب"[1].

وليعلم أنه بمقدارِ التضلُّعِ من علومِ العربية مع العلوم الأخرى المشروطة، يكون قرب المجتهد من الفهمِ الصحيح للنصوص؛ قال الإمامُ الشافعي -رحمه الله-: "وما ازداد - أي: المتفقه - من العلمِ باللسان الذي جعله الله لسان من خَتَم به نبوته، وأنزل به آخرَ كتبِه، كان خيرًا له، كما عليه أن يتعلم الصلاة والذكر فيها" [2]

وقال الشاطبي -رحمه الله-: "وإذا فرضنا مبتدئًا في فهمِ العربية فهو مبتدئ في فهم الشَّريعة، أو متوسطًا فهو متوسطٌ في فهم الشريعة، والمتوسط لم يبلغْ درجةَ النهاية، فإذا انتهى إلى الغايةِ في

(١)- الإيضاح في علل النحو: لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، الناشر: دار النفائس -بيروت، الطبعة الثالثة: ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩م، ص٩٥.

(٢)- الرسالة: ص٤٧.

العربية كان كذلك في الشَّريعة، فكان فهمه فيها حجة، كما كان فهمُ الصحابة وغيرهم من الفصحاءِ الذين فهموا القرآن حجةً، فمن لم يبلغ شأوهم، فقد نقصه من فهمِ الشريعة بمقدار التقصير عنهم، وكل من قصر فهمه لم يكن حجة، ولا كان قوله مقبولاً" (١)

ولكن العلماء يفرِّقون بين طبيعةِ العمل الاجتهادي؛ فمنه ما يتعلَّقُ باستنباطِ المصالحِ والمفاسد مجردًا من اقتضاءِ النُّصوص لها، وإنما العلم بمقاصدِ الشريعة، فهذا العلمُ لا يلزمُ له معرفة واسعة في العلومِ العربية، وإنما يلزمُ العلم بمعرفةِ مقاصد الشريعة، وإن تعلق الاستنباط بالنصوص الشرعية، فلا بد من اشتراطِ العلم بالعربية (٢).

فالعربية إذًا وسيلةٌ من وسائلِ الاهتداء إلى بعضِ الأحكام الفقهية من نصوصِ الشريعة، وقد نبَّه العلماءُ الأوائل على هذه الأهميةِ في استنباط الأحكامِ الشرعية، ومن هؤلاء على سبيل المثال:

١- القرافي (ت ٦٨٢ هـ) في كتابِه "الاستغناء في أحكام الاستثناء".

٢- الإسنوي (ت ٧٧٢ هـ) في كتابِه "الكوكب الدري".

٣- أبو بكر بنِ العربي (ت٥٤٣ هـ) في كتابه "أحكام القرآن ".

٤- القرطبي في تفسيره؛ حيث إنه كثيرًا ما يعبِّرُ في الردِّ على بعض الأقوال بقوله: "وهذا كلُّه جَهْلٌ باللسانِ والسنة ومخالفة لإجماع الأمة" (٣) .

ولا أدلَّ على ذلك من جَعْل النحو أحد ثلاثة مصادر منها استمداد أصول الفقه، وهذه المصادر: علم الكلام، وعلم العربية، والأحكام الشرعية، بل إنَّ تحديدَ الدلالةِ اللفظية قد يتوقَّفُ

(١)- الموافقات:ج٥/ ٥٣.

(٢)- الموافقات:ج٥/ ١٢٤.

(٣)- تفسير القرطبي: تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية: ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، ج٥/ ١٧.

عليها تقرير الحكم الشرعي؛ لأنَّ الأسلوبَ العربي في لغةِ القرآن الكريم يتميَّزُ بالتصرفِ في فنون القول، وتكثر فيه الألفاظُ التي تمثل أكثر من معنى، ومن ذلك على سبيلِ المثال:

١- لفظة (اللَّمس) الواردة في قولِه - تعالى -: ﴿ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [١]، فمن الفقهاءِ من حدَّدَ معنى (اللمس) بالاتصالِ بالمرأة (الجماع) كأبي حنيفة، ومنهم من حدَّده بمعنى المسِّ فقط كالشافعي [٢].

٢- ومن ذلك أيضًا ما ورد في حديثِ الرسول -ﷺ- فقد قال رسول الله -ﷺ-: (أسرعكنَّ لحاقًا بي أطولكنَّ يدًا) [٣]، قاله لنسائه، فحسبْنه من الطولِ الذي هو ضد القصر، فظنت سَوْدة إحدى زوجاته أنَّها المرادة، فلما ماتت زينب -رضي الله عنها- قبلها، علمْنَ حينئذٍ أنَّ المراد بالطولِ هو الفضل والكرم، وكانت زينبُ أكثرهنَّ صدقة، وهذا يوافق كلامَ العرب؛ فهم يقولون: فلان أطول يدًا، في حالةِ الكرم [٤].

وقد فطنَ بعضُ العلماء إلى أهمية تلك المعرفة؛ ومنهم الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢ هـ) في كتابه "المفردات في غريب القرآن"؛ حيث تناولَ في هذا الكتابِ التحديدَ الدقيق بين دلالاتِ الألفاظ في القرآن الكريم، وكذلك فعل الزمخشري في كتابه "أساس البلاغة"؛ حيث وضَّحَ الاستعمالاتِ المختلفةَ للفظ، وما يضيفه الاستعمالُ من دلالةٍ حقيقية أو مجازية، كما فطن إلى

---

(١)- سورة النساء: من الآية ٤٣.

(٢)- بدائع الصنائع: للكساني، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، ج١/ ٣٠، الأم: للإمام الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، سنة النشر: ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠م، ج١/ ٣٠.

(٣)- صحيح البخاري: كتاب الزكاة -باب فضل صدقة الشحيح الصحيح، ج٢/ ١١٠، حديث رقم١٤٢٠، صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة- باب من فضائل زينب أم المؤمنين رضي الله عنها، ج٤/ ١٩٠٧، حديث رقم٢٤٥٢.

(٤)- فتح الباري: لابن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة -بيروت، تاريخ النشر:١٣٧٩ه، ج٣/ ٢٨٨ بتصرف.

ذلك أيضًا الإمامُ الشافعي -رحمه الله- في كتابه "الرسالة" [١].

كما أنَّ الإعرابَ له تأثير بيِّنٌ في الأحكامِ الفقهية وتوجيهها؛ فالمعاني تختلفُ باختلافِ وجوه الإعراب، ويختلف الحكم تبعًا لذلك؛ وعلى سبيل المثال:

ولو قال شخص: "له عندي مئة غير درهم، أو إلا درهما"، بالنصب، لكان مقرا بتسعة وتسعين درهما، لأنه استثناء، والاستثناء: إخراج ما بعد حرف الاستثناء من أن يتناوله الأول؛ وكذلك لو قال: "ما له علي مئة إلا درهمين"، لم يلزمه شيء، كما لو قال: "ما له علي ثمانية وتسعون درهما"؛ ولو رفع فقال: "ما له عندي مئة إلا درهمان"، لكان مقرا بدرهمين. والمسائل في ذلك كثيرة؛ ومن ذلك لو قال: "إن دخلت الدار فأنت طالق"، فإنه لا يقع الطلاق إلا بدخول تلك الدار المعينة؛ ولو قال: "إن دخلت دارا فأنت طالق، وقع الطلاق بدخول أي دار دخلتها؛ لأنه علق الطلاق بدخول دار منكورة، ولشياعها تعم؛ وفي الأول علق الطلاق بدخول دار معهودة، فلا يقع الطلاق إلا بدخولها [٢].

بل إنَّ الحكم يختلف باختلافِ تصاريف الكلمة؛ فلو أنَّ رجلاً حلف ألا يلبسَ مما غزلته فلانة، فلا يحنثُ إلا بما غزلته قبل اليمين، ولو قال: مما تغزله فلا يحنثُ إلا بالذي تغزله بعد اليمين، فلو قال: من غَزْلِها دخل فيه الماضي والمستقبل [٣].

---

(١)- الرسالة: ص١٤.

(٢)- شرح المفصل: لابن يعيش، قدم له: الدكتور/ إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ج١/ ٥٦.

(٣)- الكوكب الدري: يما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية: عبد الرحيم الأسنوي الشافعيّ، المحقق: د. محمد حسن عواد، الناشر: دار عمار - عمان – الأردن، الطبعة الأولى: ١٤٠٥ه، ص٣٠٨.

المطلب الرابع: حكم تعلم اللغة العربية للمسلم.

تعلم اللغة العربية فرض كفاية إذا قام بها البعض سقط عن الباقين، قال الزركشي" تعلم اللغة فرض كفاية""[١]

هذا بالنسبة لعموم الأمة، أما بالنسبة للأعيان فلا يجب على كل المسلم تعلمها كلغة وإنما يجب على المسلم أن يتعلم من العربية ما يؤدي به ما افترضه الله عليه في الصلاة من القراءة والأذكار؛ لأن ذلك لا يجوز بغير العربية.

قال الإمام الشافعي -رحمه الله- " يجب على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يَشْهَد به أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، ويتلوَ به كتابَ الله، وينطق بالذكر فيما افتُرِض عليه من التكبير، وأُمر به من التسبيح، والتشهد، وغيرِ ذلك "[٢].

أما حكم تعلم اللغة العربية لأهل العلوم الشرعية:

فيجب على العالم بالشريعة أن يتعلم من العربية ما يفهم به كلام الشارع قرآنا وسنة.

قال أبو الحسين بن فارس: تعلم علم اللغة واجب على أهل العلم لئلا يحيدوا في تأليفهم أو فتياهم عن سنن الاستقراء "[٣].

ويقول الإمام الفخر الرازي: "لما كان المرجعُ في معرفة شرعِنا إلى القرآنِ والأخبار، وهما واردان بلغةِ العرب ونحوهم وتصريفهم، كان العلم بشرعنا موقوفًا على العلم بهذه الأمور، وما

(١)- البحر المحيط في أصول الفقه: للزركشي، الناشر: دار الكتبي للنشر- جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م، ج٢/ ٢٢٨.

(٢)- الرسالة: ص ٤٧.

(٣)- البحر المحيط في أصول الفقه:ج٢/ ٢٢٨.

لا يتمُّ الواجبُ المطلق به وكان مقدورًا للمكلف فهو واجب"[١]

وقال شيخُ الإسلام ابن تيمية: "فإنَّ نفسَ اللغة العربية من الدِّين، ومعرفتها فرضٌ واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهمِ اللغة العربية، وما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب، ثم منها ما هو واجبٌ على الأعيان، ومنها ما هو واجبٌ على الكفاية"[٢] .

(١)- المحصول: للرازي، ج١/ ٢٠٣.

(٢)- اقتضاء الصراط المستقيم:ج١/ ٥٢٧.

المبحث الثاني

أثر اللغة في الحفاظ على الهوية الوطنية

المطلب الأول: تعريف الهوية الوطنية

أولاً: تعريف الهوية

ولفظ الهوية يطلق على معان ثلاثة: التشخص، والشخص نفسه، والوجود الخارجي.

وجاء في كتاب (الكليات) لأبي البقاء الكفوي: أن ما به الشيء هو هو باعتبار تحققه يسمى حقيقة وذاتًا، وباعتبار تشخيصه يسمى هوية[١]

والهوية عند الجرجانى في(التعريفات): الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق[٢].

والهوية في ثقافتنا العربية الإسلامية هي الامتياز عن الأغيار من النواحي كافة.

وخلاصة الأقوال إن الهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم، هي القدر الثابت، والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة، التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية، طابعًا تتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى [٣].

---

(١)- الكليات: لأبي البقاء الكفوي، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، بدون طبعة ، ص٩٦١.

(٢)- التعريفات: للشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣م، ص٢٥٧.

(٣)- دكتور محمد عمارة: مجلة الهلال- القاهرة عام:١٩٩٧م، نقلا عن دور اللغة العربية في إبراز الهوية الإسلامية في باكستان: د/ حامد أشرف همداني، ص٤٣.

ثانياً: تعريف الوطنية:

لغةً: الوطنية نسبة إلى (الوطن) وهو (المَنْزِلُ تقيم به وهو مَوْطِن الإنسان ومحله[١]، أو هو (مكان إقامة الإنسان ومقره وإليه انتماؤه ولد به أولم يولد) [٢].

اصطلاحا: يتضح من خلال المعنى اللغوي للوطنية أن الوطن يمثل مكان الإنسان ومحل إقامته والمكان الذي ولد فيه. فهو يمثل الانتماء المكاني للإنسان، ومن المعلوم أن الإنسان قد ارتبط منذ وجوده بشيئين هما المكان والزمان؛ المكان الذي يوجد فيه والزمان يستغرق وجوده.

فالوطنية بهذا المفهوم في عصرنا الحاضر تأتي بمعنى الوطن وقد أجمل الشيخ محمد عبده تعريفها بهذا المفهوم بقوله: (المكان الذي للمرء فيه حقوق وواجبات سياسية) [٣]

ويعرف الانتماء إلى الوطن بأنه: "السلوك المعبر عن امتثال الفرد للقيم الوطنية السائدة في مجتمعه، كالاعتزاز بالرموز الوطنية، والالتزام بالقوانين والأنظمة السائدة، والمحافظة على ثروات الوطن وممتلكاته، وتشجيع المنتجات الوطنية، والتمسك بالعادات والتقاليد، والمشاركة في الأعمال التطوعية، والمناسبات الوطنية، والاستعداد للتضحية دفاعا عن الوطن[٤].

فالهوية الوطنية: تعني الانتماء للوطن، وهي مجموعة من القيم والأخلاق التي تنعكس أفعالاً تعزز من استقرار في الوطن، والدفاع عنه، والتقيد بنظمه واحترام قوانينه.

---

(١)- لسان العرب: لابن منظور، ج١٣/ ٤٥١.

(٢)- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة، بدون طبعة، ج٢/ ١٠٤٢.

(٣)- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: محمد محمد حسين، الناشر: مؤسسة الرسالة –بيروت، الطبعة السابعة:١٤٠٥ هـ- ١٩٨٤، ص٧٠.

(٤)- دور الإعلام التربوي في تدعيم قيم الانتماء الوطني لدى الطلبة الجامعيين في محافظات غزة: محمد عطية أبو فودة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية الإسلامية – غزة، ٢٠٠٧ م: ص ٣٢.

المطلب الثاني: العلاقة بين اللغة العربية والهوية الوطنية.

للغة تأثيرا كبيرا في ترسيخ المواطنة، وتكريس الانتماء، والواحد من الناس يألف من يتكلم بلسانه، ويقترب منه أكثر من غيره، ومن تتبع أحوال المسافرين في محطات سفرهم ثبتت له تلك الحقيقة. والمغتربون للدراسة أو للعمل أو للعلاج تؤلفهم اللغة، وتجمعهم بلدانهم، فكل أهل بلد لهم رابطة توحدهم، ومستقرٌ يجمعهم، وأقوى دافع لهم في ذلك كون لهجاتهم واحدة.

يقول مصطفى صادق الرافعي -رحمه الله-: " وما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار؛ ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضًا على الأمة المستعمرة، ويركبهم بها، ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيتها؛ فيحكم عليهم أحكامًا ثلاثة في عمل واحد: أما الأول فحبس لغتهم في لغته سجنًا مؤبدًا؛ وأما الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محوًا ونسيانًا؛ وأما الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها؛ فأمرهم من بعدها لأمره تبع "(١).

فلا بد من النظرِ إلى اللغة العربية بحيث يكون الاعتزازُ بها اعتزازًا بالوطن، وتراثه الحضاري العظيم، فهي عنصرٌ أساسي من مقوماتِ الوطن والشخصية العربية، والنظر إليها على أنها وعاء للمعرفةِ والثقافة بكلِّ جوانبها، ولا تكون مجردَ مادةٍ مستقلة بذاتها للدراسة؛ لأنَّ الوطن الذي يهمل لغتَه وطن يحتقر نفسَه، ويفرضُ على نفسِه التبعية الثقافية.

والتحولات السريعة التي يعيشها العالم اليوم وما نتج عنها من صراع الهويات جعل من الانتماء إحدى الأزمات التي تنخر كيان المجتمعات والأمم، الروابط القوية بين اللغة والهوية على فرضية أن الأفراد الذين يتمسكون بلغتهم الأصلية لديهم اعتزاز أقوى تجاه هويتهم

(١)- وحي القلم: مصطفى صادق الرافعي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م، ج٣/ ٢٧.

ويعطونها أكثر من غيرهم، وذلك على اعتبار أن اللغة قيمة أساسية في هوية المجتمعات، وأن الحفاظ عليها معناه الحفاظ على الهوية الوطنية.

وما من شك أن هناك صلة جوهرية بين اللُّغة والهُوَية الوطنية، ذلك أن اللُّغة من أهم العناصر التي تُشكِّل هوَيّة أية جماعة وأي وطن، وهي التي تطبع هذه الهُوَية بطابعها الثقافيّ المميز، والأداة الفعالة لبناء النهضة والحضارة، وهي الواسطة التي تجعل من الأُمّة مجتمعًا متماسكًا.

واللُّغة هي السياج الأهم الذي يوحِّد الأُمّة الناطقة بها، ويعمل على حِماية المجتمع من عوامل الانحلال والذوبان؛ لأنها مستودع لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والفلسفة والدين، ذلك أن روح الشعب يكمن في لغة الآباء والأجداد [١].

إنّ اللُّغة الْعَرَبية مثل باقي اللغات وسيلة للاتصال وأداة للتفاهم وحافظة لثقافة مجتمع، وملمح رئيس ومميز لهوَيّة هذه الأُمّة الحضاريّة. فهي انعكاس صريح لقيم المجتمع وثقافته، إذ إنها وسيلة فعالة في صبغ أفراده في الفكر والسلوك المميز لهذا المجتمع، وتصير اللُّغة مع مرور الزمن خزانة فكرية زاخرة بثقافة وتُراث الأُمم.

وتشكل اللغة العربية إحدى مقومات الهوية لدى الإنسان العربي، وتطبع شخصيته بطابع مستمد من طبيعتها، وطريقتها في التعبير، التي تنعكس بدورها في طريقته في التفكير؛ فاللغة نافذة الإنسان التي يطل منها بوعي على المجتمع من حوله، من خلال التفاعل مع الآخرين، ومصادر المعرفة المختلفة [٢].

إن حدود العلاقة بين اللُّغة والهُوَية الوطنية، علاقة من شأنها أن تمكننا من تمثل الدور الذي

---

(١)- الهوية اللغوية: المفهوم والملامح: وليد السراقبي، بحث منشور في مجلة فكر، مركز العبيكان للأبحاث والنشر، السعودية، عدد ١٠، سنة ٢٠١٥م، ص٢٣.

(٢)- دور اللغة العربية في إبراز الهوية الإسلامية في باكستان: د/ حامد أشرف همداني، ص٤٣.

يفترض أن تلعبه اللُّغة الْعَرَبية في حِماية التُّراث والمحافظة على مقومات الهُوَية الوطنية الْعَرَبية والكشف عن قدرتها العجيبة لمواجهة التحديات وكسب الرهانات. فالتلاحم الحميمي بين اللُّغة والهُوَية بوصفها المكون والوعاء في آنٍ واحد الذي يصون مكونات الهُوَية الحضاريّة فضلاً عن كونها الرابط بين الفرد ووطنه وأمته، إذ ترتبط اللُّغة ارتباطًا قويًا بهوَيّة الإنسان، فهي مكون أساس من مكونات تميزه عن الآخرين، وتماثله مع من يشاركونه فيها، وهي الوعاء الحافظ لتاريخه وتُراثه، وهي الرابط المتين الذي يربط الفرد بأمته وأهله وأرضه فلا شيء كاللُّغة يعبر عن هويّة الناس ويحفظ تُراثهم [1].

لطالما كان تُراث الأُمة ركيزة أساسية من ركائز هويتها الثقافيّة، وعنوان اعتزازها بذاتيتها الحضاريّة في تاريخها وحاضرها. ولطالما كان التّراث الثقافيّ للأمم منبعًا لإلهام ومصدرًا حيويًا للإبداع المعاصر ينهل منه وأدباءها وشعراؤها، كما مفكروها وفلاسفتها لتأخذ الإبداعات الجديدة موقعها في خارطة التُّراث الثقافيّ، وتتحول هي ذاتها تُراثًا يربط حاضر الأُمّة بماضيها ويعزز حضورها في الساحة الثقافيّة العالمية.

ولا شك أن اللُّغة تحفظ تُراث الأُمّة ذخرًا للأجيال المتعاقبة جيلاً بعد جيل، والمجتمع البشري مدين للغة بما هو عليه اليوم من تقدم وازدهار وعلم، فاللُّغة وثيقة الصلة بالإنسان وبيئته فهي تظهر المجتمع الإنساني على حقيقته، وليست اللُّغة أربطة بين أعضاء مجتمع واحد بعينة، وإنما هي عامل مُهِم للترابط بين جيل وجيل، وانتقال الثقافات عبر العصور لا يتأتى إلا بهذه

(١)- دور اللغة العربية في الحفاظ على مقاومات الهوية القومية وكسب رهانات وتحديات العولمة: نور الدين صدار، بحث منشور في كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتِماعيّة والإنسانية، جامعة معسكر، الجزائر، ص٢.

الوسيلة العجيبة) [1].

فدور اللُّغة الْعَرَبية لا يقتصر في توحيد الشعوب الْعَرَبية والإسلامية، لتكون عنوان ازدهار الثقافة الْعَرَبية الإسلامية، بل إن دور اللُّغة الْعَرَبية الأساس يكمن في تسجيل التُّراث الثقافي سيطلع الخلف من الأجيال القادمة، كما حفظت إنجازات أباءنا وأجدادنا من الأجيال السابقة.

وللهوية الوطنية مكونات أساسية تحدد ملامحها في كل جماعة أو أمة دون غيرها ومن أهم هذه المكونات:

اللغـة:

هي العنصر الأساسي للهوية الوطنية، فكما قالت المستشارة الألمانية ميركل: إن اللغة هي الشيء الأهم ، وليس هناك مجال للأعذار في هذا الشأن ، واللغة هي مكون أساسي من مكونات الثقافية ، واللغة العربية مقوِّم أساسي من مقومات الثقافة العربية الإسلامية ، ذلك أن العربية ليست لغة أداة فحسب ، ولكنها لغة فكر أساسًا ، وحتى الشعوب والأمم التي انضوت تحت لواء الإسلام ، وإن كانت احتفظت بلغتها الوطنية ، فإنها اتخذت من اللغة العربية وسيلة للارتقاء الثقافي والفكري ، وأدخلت الحروف العربية إلى لغاتها، فصارت تكتب بها ، وعلى هذا الأساس فإن الثقافة العربية هي ثقافة الأمة العربية ؛ التي هي أمة الإسلام الذي منه اكتسبت صبغتها ، وحملت صفتها، واستمدت طبيعتها ، فلم يكن لهذه الأمة كيان قائم الذات قبل الإسلام ، وإنما كانت قبائل وعشائر لا تجمعها عقيدة ، ولا يوحدها إيمان بالرسالة الخالدة للعرب ، ولكن كانت الثقافة العربية إسلامية الروح والأصول ، ومع ذلك ثقافة استوعبت كل الأمم والشعوب ؛ التي انضوت تحت لواء الأمة العربية الإسلامية ، ووسعت كل الثقافات التي تعايشت معها ، فصارت

(١)- دور اللُّغة في تشكيل الهُوَية الوطنية: محمد أحمد القضاة، بحث منشور في مجلة الْعَرَبية للثقافة، تونس، مجلد٣٠، عدد٥٩، سنة٢٠١٢م، ص٧٢.

بذلك ثقافة العرب المسلمين ، وثقافة النصارى واليهود ، وثقافة كل الأديان ، وطوائف الملل والنحل التي اندمجت في الكيان الإسلامي ، وعاشت في ظل الدولة الإسلامية عبر الأزمنة والعصور. ومن أهم الخصائص التي تميزت بها الثقافة العربية أنها امتزجت بالثقافات الأخرى التي كانت سائدة في عهود الإسلام الأولى، وتفتحت لعطاء الأجناس والأقوام، وأهل الديانات والعقائد التي تعايشت مع المجتمع الإسلامي، فصارت بذلك الثقافة غنية المحتوى، متعددة الروافد، متنوعة المصادر، ولكنها ذات روح واحدة، وهوية متميزة متفردة [١].

المطلب الثالث: التأصيل الشرعي للانتماء إلى الوطن.

من الأمور التي دعت إليها الشريعة الإسلامية الانتماء إلى الوطن بمظاهره الصحيحة التي تأخذ مداها في الشعور الفردي ولا تتجاوزه إلى المحذور، فتكون بعيدة عن الغلو والتفريط، وحذرة في تخاطبها وتعاملها، لا تتعارض مع الدين، أو تمس مبادئه، فيكون انتماء الفرد إلى وطنه داخل في الانتماء الإسلامي، ولأن الانتماء أمر فطري جُبلت عليه النفوس، والقيام بمظاهره كاملة وَفقَ المنهج الإسلامي الصحيح فيه صلاح العباد والبلاد؛ ولمَّا كان الانتماء الصادق لا يتعارض مع الدين جاء الترغيب فيها والحثُّ على مظاهره في مصادر التشريع الإسلامي، ومن ذلك:

أولاً: من القرآن الكريم.

ففي القرآن الكريم دعا الإسلام إلى الانتماء الصحيح الصادق في إشارات تدل على الانتماء إلى الوطن ومشروعيته منها:

ا- حب الوطن والحنين إليه.

وهو من أخطر المظاهر وأدقها مسلكًا؛ لأنه لا يتولد في النفس إلا باعتبارات يؤمن بها الفرد

(١)- الهوية الوطنية ركن من أركان الدولة الحديثة المسلمة: على الصلابي، مقال منشور على موقع الجزيرة نت، https://1-a1072.azureedge.net/blogs/2020/10/8

ويعتقدها في ذاته، فحبَّ الوطن أمرٌ عُرف في الإسلام، ودعا إليه ولم يعارضه شريطة أن تكون تلك المحبة، وذلك الانتماء في ضوء العقيدة الإسلامية، ففي القرآن الكريم إشارات كثيرة، تدل على مشروعية هذا الحب وضروريته.

فحين كان الإخراجُ من الوطن، وحرمان الإنسان منه عقوبةً شديدة؛ استخدمه المشركون في حربهم مع أنبيائهم عليهم السلام فما أن يعلن نبي دعوته لقومه، إلا وقاموا بإخراجه من بلده، وإبعاده عن موطنه، ولذلك وعد الله الأنبياء بأن يردّهم إلى أوطانهم ويسكنهم الديار، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ (١)

ويبرز الانتماء الصادق عند النبي موسى حين يحن إلى وطنه بعد أن خرج مجبرا، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنْ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (٢)

يقول ابن العربي: "قال علماؤنا: لما قضى موسى الأجل طلب الرجوع إلى أهله، وحنّ إلى وطنه، وفي الرجوع إلى الأوطان تُقتحم الأغرارُ، وتُركبُ الأخطارُ، وتُعلل الخواطرُ" (٣)

ومن دلائل الانتماء الصادق الحنين إلى الوطن والاشتياق إليه حين مفارقته دليل ذلك قوله تعالى لنبيه(ﷺ) ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ (٤)

---

(١)- سورة إبراهيم: الآيتان ١٣، ١٤.

(٢)- سورة القصص: آية ٢٩.

(٣)- أحكام القرآن: لابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشـر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ج٣/ ٥١١.

(٤)- سورة القصص: آية ٨٥.

قال ابن عباس: "إلى معاد: أي: إلى مكة، ختم الله السورة ببشارة نبيه محمد ﷺ برده إلى مكة قاهرا لأعدائه [١].

٢- حب الخير للوطن.

من التأصيل الشرعي للانتماء إلى الوطن في القرآن الكريم حبُّ الخير للوطن، ومن ذلك ما جاء في قصة إبراهيم(عليه السلام) لما أتى بهاجر (أم إسماعيل) مكة فأسكنها، وليس بها أنيسٌ ولا ماء، دعا لها بالأمن قبل الرزق، قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [٢]

يقول ابن عاشور:" ولقد كانت دعوة إبراهيم هذه من جوامع كلم النبوءة، فإن أمن البلاد والسبُلِ يستتبع جميع خصال سعادة الحياة، ويقتضي العدل والعزة والرخاء إذ لا أمن بدونها، وهو يستتبع التعمير والإقبالَ على ما ينفع والثروةَ فلا يختل الأمن إلا إذا اختلت الثلاثة الأول، وإذا اختل اختلت الثلاثة الأخيرة، وإنما أراد بذلك تيسير الإقامة فيه على سكانه لتوطيد وسائل ما أراده لذلك البلد من كونه منبع الإسلام [٣].

٣- الدفاع عن الوطن.

الدفاع عن الوطن دليل على صدق الانتماء، ففي القرآن الكريم بيان أن القتال وإرخاص النفوس دون الوطن سبب مشروع، يقول الله (عز وجل)عن بني إسرائيل: ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهَّ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴾ [٤]

---

(١)- تفسير القرطبي: ج١٣/ ٣٢١.

(٢)- سورة البقرة: آية ١٢٦.

(٣)- التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، ج١/ ٧١٥.

(٤)- سورة البقرة: آية ٢٤٦.

فطلبهم القتال دليل انتمائهم الحقيقي وحبهم لوطنهم، فجعل الإخراج من الديار والأوطان سببًا مسوغًا لمشروعية القتال والدفاع عن الوطن. وتتجلى قيمة الانتماء حين يَعِدُ الله (ﷻ)المؤمنين الذين ظُلموا، وأُخْرجوا من ديارهم بغير حقٍّ أنه ناصرهم، فليقاتلوا في سبيله، فقال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهَ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهَ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهَ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهَ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (١)

٤- صعوبة الخروج من الوطن.

إن شدة تعلق النفس بوطنها وارتباطها به دليل صادق على انتمائها، وقد اقترن ذلك في القرآن بحب النفس، قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾ (٢) : فالآية تصور ظاهرة الانتماء الصادق، والارتباط بالوطن والتمسك به بوضوح، فالخروج من الديار مكافئ لقتل النفس، والمشَقَّة في الصورتين ظاهرة فقَتْل النفس والخروج من الدِّيار أمران عزيزان على النفس في إشارة واضحة إلى أن الوطن قرين النفس، وقريب من الروح؛ لأن الإنسان لا يخرج من وطنه إلا مضطرًا، يقول أبو حيّان ﷺ: "وفي الآية دليل على صعوبة الخروج من الديار، إذ قرنه الله تعالى بقتل الأنفس" (٣) .

ثانياً: من السنة النبوية.

في السنة النبوية دلائل كثيرة تؤكد أن الانتماء إلى الوطن أمر مشروع جُبل عليه الإنسان،

---

(١)- سورة الحج: آية ٣٩.

(٢)- سورة النساء: آية ٦٦.

(٣)- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق:صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، تاريخ الطبعة: ١٤٢٠ هـ، ج٣/ ٦٩٦.

ويتجسد ذلك في حبه لوطنه، وقيامه بحقوقه، ففي السنة النبوية إشارات تدل على أن الانتماء إلى الوطن أمر فطري في النفس، وقد جاءت المقاصد بتأكيد ذلك، منها:

أ- حب الوطن والحنين إليه.

ومن ذلك أن النبي اشتاق إلى وطنه بالسؤال عنه، وتلمس أخباره، فحين قدم أُصَيْل الغفاري من مكة فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «يَا أَصِيلُ، كَيْفَ عَهِدْتَ مَكَّةَ؟» قَالَ: وَاللهِ عَهِدْتُهَا قَدْ أَخْصَبَ جَنَابُهَا، وَابْيَضَّتْ بَطْحَاؤُهَا، وَأَعْذَقَ إِذْخِرُهَا، وَأُسْلِتَ ثُمَامُهَا، وَأَمَشَّ سَلَمُهَا [1] فَقَالَ: «حَسْبُكَ يَا أَصِيلُ لَا تُحْزِنَّا» [2]

ومن أمارات الانتماء الصادق ما جاء عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: " لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَصَبْنَا مِنْ ثِمَارِهَا، فَاجْتَوَيْنَاهَا وَأَصَابَنَا بِهَا وَعْكٌ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَبَّرُ عَنْ بَدْرٍ....." [3]

قال ابن عبد البر-رحمه الله-: "وفيه بيان ما عليه أكثر الناس من حنينهم إلى أوطانهم، وتلهفهم على فراق بلدانهم، التي كان مولدهم بها، ومنشؤهم فيها"[4].

---

(١)-أعذقت النخلة إذا كثر أغذاقها وهي جمع عذق وأعذق الرجل إذا كثر عذوقه أي نخله، وأسلب ثمامها أي أخوص والسلب: خوص الثمام، وقوله: أمش سلمها يريد أنه قد أخرج مشاشه وهو ما يخرج في أطرافه ناعما رخصا كالمشاش وهو غلط وإنما هو أمشر سلمها أي أورق واخضر، غريب الحديث للخطابي:ج١/ ٢٧٨.

(٢)- أخبار مكة للأزرقي: المحقق: رشدي الصالح ملحس، الناشر: دار الأندلس للنشر - بيروت، ج٢/ ١٥٥ .

(٣)- مسند الإمام أحمد: لمحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ج٢/ ٢٥٩، حديث رقم ٩٤٨ .

(٤)- الاستذكار: لابن عبد البر، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢١ه - ٢٠٠٠م، ج٨/ ٢٣٩.

٢- حب الخير للوطن.

إن حب الخير للوطن والحرص على رقيّه ونمائه دليل واضح على صدق الانتماء، وشاهد ذلك ما جاء في السنة النبوية أن الرسول دعا بالخير والأمن والازدهار للمدينة حين سكنها النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ البَرَكَةِ» (١)

وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَمِثْلِهِ مَعَهُ» (٢) ، وذلك لأن المدينة هي التي احتضنت الدعوة الإسلامية، واستقبلت الرسول ولذلك ظلَّ حبُّ مكة في قلبه ؛ هو لم يتغير، وحنينه إليها مستمرًا، فكان من حقِّها أن يكون حبُّها مثل حبِّ مكة أو أشد. ولشدة حبِّ الرسول لمكة وتعلقه بها - ولأن الطبع لا يوافق أن يكون بلد أحبَّ إلى إنسان من بلده الأم - لجأ النبي إلى الله في ذلك بالدعاء؛ لأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء. والذي يظهر - والله أعلم - من دعاء إبراهيم لمكة، ومحمد للمدينة أن السبب ليس لأفضلية البقعة فحسب، وإنما لكون كل منهما دعا لموطنه، وموطن أهله، ومستقر عبادته.

٣- التعلق بالوطن وصعوبة مفارقته.

ومن الدلائل التي تؤكد أهمية الانتماء إلى الوطن وحبه ومشروعيتهما التعلق بالوطن وصعوبة مفارقته، وقد ثبت حب الرسول لوطنه وتعلقه به، وكراهيته الخروج منه، ومن ذلك

(١)- صحيح البخاري: كتاب فضائل المدينة- باب المدينة تنفي الخبث، ج٣/ ٢٣، حديث رقم١٨٨٥، صحيح مسلم: كتاب الحج - باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، ج٢/ ٩٩٤، رقم ١٣٦٩.

(٢)- صحيح مسلم: كتاب الحج- باب فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، ج٢/ ١٠٠٠، رقم ١٣٧٣.

رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَكَّةَ: «مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ» (١)

٤- ذكر فضائل الوطن.

إن ذكر فضائل الوطن دليل على صدق الانتماء وعلى الفطرة السليمة للإنسان، فالإنسان مسكونة نفسه بوطنه، وذكر فضائل الوطن تجسيد لمعنى الانتماء الصادق؛ لأنه يغرس في المجتمع الخير، وينمي فيهم معاني المحبة والانتماء، وينمي فيه التآلف والتماسك، ويبعد عنه الحسد والتباغض، وقد دعا الإسلام إلى هذه القيمة العظمى، ورغب الناس فيها من خلال استشعارهم هذا المبدأ العظيم، ومن ذلك ما جاء في حبِّ النبي لوطنه وانتمائه إليه، وحنينه له، واستيلاء ذلك على طبعه، واستدعاء أشد الشوق إليه، حين هَمَّ بالخروج من وطنه، والهجرة عنه إلى مكان آخر، فيلتفت إلى البيت العتيق، وكله حبٌّ إليه، وحزنٌ عليه، ولوعةٌ من فراقه، فَقَالَ ﷺ: " عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ الْأَرْضِ إِلَى اللهِ ﷻ، وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ " (٢)

ثالثاً: فتوى دار الإفتاء المصرية في دعوة الإسلام إلى المحافظة على سلامة الأوطان.

ومن مظاهر دعوة الإسلام إلى سلامة الأوطان، أن جعل حبَّ الوطن معنًى فطريًّا غريزيًّا نابعًا من شعور الإنسان بالانتماء إليه وحنينه إلى المكان الذي ترعرع فيه وأصبحت له فيه ذكريات تربطه بمَن نشأ بينهم من أهل وأحباب، وقد ظهر ذلك جليًّا في أفعال النبي صلى الله

(١)- سنن الترمذي: أبواب المناقب- باب ما جاء في فضل مكة، ج٥/ ٧٢٣، حديث رقم٣٩٢٦، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢)- مسند الإمام أحمد: ج٣١/ ١٣، حديث رقم١٨٧١٧.

عليه وآله وسلم حيث كان حب الوطن من أخلاقه؛ فعن أنس بن مالك ﷺ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَأَبْصَرَ دَرَجَاتِ المَدِينَةِ، أَوْضَعَ نَاقَتَهُ، وَإِنْ كَانَتْ دَابَّةً حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا» (١).

قال الإمام ابن بطال في "شرحه" [قوله: (من حبها) يعني: لأنها وطنه، وفيها أهله وولده الذين هم أحب الناس إليه، وقد جبل الله النفوس على حب الأوطان والحنين إليها، وفعل ذلك عليه السلام، وفيه أكرم الأسوة " (٢).

ونجد أنَّ الله تعالى قرن بين مشقة قتل النفس والخروج من الوطن امتحانًا واختبارًا للمنافقين؛ فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ (٣)

يقول الإمام أبو حيان الأندلسي: [وفي الآية دليل على صعوبة الخروج من الديار؛ إذ قرنه الله تعالى بقتل الأنفس] (٤).

كما حذَّر الإسلام من المساس بأمن الوطن، وترويع المواطنين؛ فقال رسول الله صلى الله

---

(١)- صحيح البخاري: كتاب الحج- باب من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة،ج٣/ ٧، حديث رقم١٨٠٢، (درجات المدينة) طرقها المرتفعة جمع درجة. (أوضع) أسرع السير.

(٢)- شرح صحيح البخاري: لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الطبعة الثانية: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م، ج٤/ ٤٥٣.

(٣)- سورة النساء: آية ٦٦.

(٤)- البحر المحيط في التفسير:ج٣/ ٦٩٦.

عليه وسلم: «مَنْ أَمِنَ رَجُلًا عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ لِوَاءَ غَدْرٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

والمساس بسلامة الوطن يُعدُّ من الإفساد في الأرض، فيستوجب أشدّ العقوبة وأغلظها؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢)

وجعل الإسلام حفظ الأوطان مقصد شرعيّ مرعيّ يأثم من يخلّ به؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٣) ، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (٤) ، وقال عز من قائل: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ (٥) .

وبناءً على ذلك: فالمحافظة على الإنسان والحرص على سلامة الأوطان أمرٌ فطريٌّ وواجبٌ شرعيٌّ، دلَّت عليه النصوص الشرعية القطعية (٦) .

---

(١)- سنن ابن ماجه: كتاب الديات- باب من أمن رجلا على دمه فقتله،ج٢/ ٨٩٦، حديث رقم٢٦٨٨، الحديث: إسناده صحيح رجاله ثقات، مجمع الزوائد:ج٦/ ٢٨٥.

(٢)- سورة المائدة: آية ٣٣.

(٣)- سورة البقرة: من الآية ٦٠ .

(٤)- سورة الأعراف: من الآية ٥٦.

(٥)- سورة: محمد: الآيتان ٢٢،٢٣.

(٦)- فتوى دكتور/ شوقي علام، مفتي الديار المصرية، فتوى رقم ٧٢٠٠، تاريخ الفتوى٢٠نوفمبر ٢٠٢٠م، https://www.dar-alifta.org/ar/fatawa/17922

خاتمـــة

الحمد لله على ما منَّ به ويسره ونسأله ﷻ أن يعفو عن زلاتنا ويجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأصلي وأسلم على سيد الخلق سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد تبين لنا من خلال هذا البحث أن حماية اللغة العربية هي واجب ديني ودنيوي في آن واحد، فاللغة العربية هي السياج المتين الذي يحمي الأمة من الدعوة إلى قطع العلاقة مع التراث مما يستدعي توعية المجتمع العربي وتعريفه بأهدافها الخبيثة وجوانبها السلبية، ومن واجب الأمة العربية حماية لغتها وتراثها وبيان الجوانب المضيئة في حضارة أمتنا وتاريخنا.

وأجمل أهم من توصلت إليه من نتائج وتوصيات:

١- إنَّ اللغة العربية امتازت عن سائرِ لغات البشر بأنها اللغةُ التي اختارها الله -ﷻ- لوحْيه؛ لما تمتازُ به من مميزات.

٢- إنَّ اللغة العربية مصدرُ عزٍّ للأمة؛ فهي لغةُ القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولغةُ التشريع الإسلامي؛ بحيث يكون الاعتزازُ بها اعتزازًا بالإسلام.

٣- إن اللغة العربية هي الترسانة الفكرية والثقافية التي تبنى الأمة وتحمي كيانها، وتحافظ على شخصيتها، وهي الدعامة الرئيسة لبناء الأمة وقيامها.

٤- إن اللغة هي الأساس الصلب الذي تقوم عليه الأمة والهوية في الواقع هي خاصية اللغة ووظيفتها الأساسية.

٥- إن الانتماء إلى الوطن له أصل في التشريع الإسلامي، وقد سبق القوانين الوضعية والأنظمة المُشرَّعة.

التوصيات:

تتلخص أهم التوصيات فيما يلي:

١- القيام بمسابقات علمية وثقافية عبر وسائل الإعلام المختلفة، لترسيخ أهمية اللغة العربية، وتعزيز مفهوم الانتماء إلى الوطن.

٢- إجراء عدد من الدورات التدريبية، ومشاغل العمل؛ لدراسة كيفية الحفاظ على اللغة العربية وتعزيز مفهوم الانتماء إلى الوطن لدى المواطنين.

٣- تكثيف الوعي بأهمية الحفاظ على اللغة العربية والانتماء إلى الوطن من خلال العديد من الأنشطة والمناسبات والفعاليات.

فهرس موضوعات البحث

المحتويات

ملخص البحث ٣٨٣
المقدمـــة ٣٨٥
المبحث الأول: أثر اللغة العربية في حفظ وفهم العلوم الشرعية ٣٨٨
المطلب الأول: العلاقة بين اللغة العربية والعقيدة الإسلامية ٣٨٨
المطلب الثاني: أثر اللغة العربية في فهم معاني القرآن الكريم والسنة المطهرة. ٣٩٠
المطلب الثالث: أهمية اللغة العربية للفقيه. ٣٩٤
المطلب الرابع: حكم تعلم اللغة العربية للمسلم. ٤٠٠
المبحث الثاني: أثر اللغة في الحفاظ على الهوية الوطنية ٤٠٢
المطلب الأول: تعريف الهوية الوطنية ٤٠٢
المطلب الثاني: العلاقة بين اللغة العربية والهوية الوطنية. ٤٠٤
المطلب الثالث: التأصيل الشرعي للانتماء إلى الوطن ٤٠٨
خاتمـــة ٤١٧
التوصيات ٤١٨
فهرس موضوعات البحث ٤١٩